وصف الزلازل بين حافظ وشوقي

دراسة وموازنة ونقد

الدكتور / أحمد محمد على أحمد شومان
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

تمهيد :

الزلزال هزة أرضية قد ترجع الى غضب الله على البشر من سوء سلوكهم وفساد أخلاقهم أو اضطراب فى جوف القشرة الأرضية يترتب عليه دمار المدن وابادة الأحياء وطمس معالم الحياة من على ظهر الأرض .

ويتفاعل الشعراء مع هذه المواقف ويتأثرون بما يحدث على ظهر البسيطة من أحداث .

ولذلك كان هذا البحث الذى تناول بالوصف الشعرى زلزالين مروعين مدمرين وقع أحدهما فى اليابان والثانى فى ايطاليا فدمرا مدنا بأكملها وسحقاها سحقا تاما ومحيت من على ظهر الوجود .

زلزال اليابان لأحمد شوقى *

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه
وسل القريتين كيف القيامة ؟ (١)

دنت الساعة التى أنذر النا
س وحلت أشراطها والعلامة

قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد (٢) دعامه ؟

خسفت بالمساكن الأرض خسفا
وطوى أهلها بساط الاقامة

طوفت بالمدينتين المنايا
وأدار الردى على القوم جامه (٣)

لا ترى العين منهما أين جالت
غير نقض أو رمة أو حطامه

حازهم من مراجل الأرض قبر
فى مدى الظن عمقه ألف قامه

(*) الزلزال الشهير الذى حدث فى ٧ من أبريل ١٩٢٦م .
(١) « طوكيو ويوكاهامه » مدينتان باليابان .
(٢) « عاد » قبيلة عربية قديمة أرسل الله اليهم النبى هودا عليه السلام فكذبوه فأهلكهم الله .
(٣) الجامة : قدح الشراب .
(٤) مراجل : جمع مرجل وهو القدر من النحاس أو الحجارة .

تحسب الميت فى نواحيه يحى
نفخة الصور أن تلم عظامه

أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا
ذهبت ريحهم وشالوا نعامه (٥)

ثق بما شئت من زمانك الا
صحبة العيش أو جوار السلامة

دولة الشرق وهى فى ذروة العز
تحار العيون فيها فخامه

خانها الجيش وهو فى البحر درع
والأساطيل وهى فى البحر لامه (٦)

لو تأملتها عشية جاشت
خلتها فى يد القضاء حمامه

رجها رجة أكبت على قر
نية «بوذا» (٧) وزلزلت أقدامه

استعذنا بالله من ذلك السيل
الذى يكسح البلاد أمامه

من رأى جلمدا يهب هبوبا
وهميما يسح سح الغمامة

---

(٥) شالوا نعامة أى تفرقوا وارتحلوا
لسان العرب لابن منظور ٣ : ١٦٠٠ .
(٦) اللامة : هى أدوات الحرب كلها من سيف ودرع وغيرهما .
(٧) « بوذا » حكيم هندى
لسان العرب ٥ : ٤١٠١ .

ودخـانا يلف جنحـا بجنـح
لا تـرى فيه معصـميها اليمـامه

وهزيمـا كمـا عوى الذئب فى كل
مكـان وزمجـر الضرغـامه

أتت الأرض والسـماء بطوفـا
ن ينسى طوفـان نـوح وعـامه

فترى البحر جن حتى أجـاز الـ
ـبر واحتـل موجـه أعـلامه

مزبـدا ثـائر اللجـاج كجيش
قوض العـاصف الهبوب خيـامه

فلك نـوح تعـوذ منـه بنـوح
لو رأتـه وتسـتجير زمـامه

قد تخيلتهم متابيل (٨) سـحر
من قراع القضـاء صرعى مدامـه

وتخيـلت من تخـلـف منـهم
ظن ليـل القيـام ذاك فنـامه

أبـراكين تلك أم نـزوات
من جـراح قديمـه ملتـامة

تجـد الأرض راحـة حيث سـالت
راحة الجسـم من وراء الحجامة

---

(٨) متابيل جمع متبول وهو الذى ذهب عقله لسان العرب ١ : ٤١٩

مـا لهـا لا تضـج ممـا أقلت
من فسـاد وحملت من ظـلامه

كلمـا لبسـت بـأهل زمـان
شـهدت من زمـانهم آثـامه

استووا بالأذى خـيرا وبـالشر
ولـو عـاد بالدمـاء تهـامه

لبسـت هـذه الحيـاة علينـا
عـالم الشر وحشـه وأنـامه

ذاك (٩) من مؤنساته الظفر والناب
وهذا (١٠) سلاحه الصمصامه(١١)

سره من «أسامة»(١٢) البطش والفتـ
ـك فسمى وليـده بأسـامه

لـؤمت منهمـا الطبـاع ولكن
ولد العاصـين شر لآمـه (١٣)

---

(٩) ذاك : اشارة الى الوحش .
(١٠) وهذا اشارة الى الانسان .
(١١) الصمصام : السيف القاطع لسان العرب ٤ : ٢٥٠٣ .
(١٢) أسامة : اسم من أسماء الأسد .
(١٣) ديوان شوقي ج ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

زلزال ايطاليا لحافظ ابراهيم

نبئـــانى ان كنتمـــا تعلمـــان
ما دهى الكون أيها الفرقدان ؟(١٤)

غضـــب الله أم تمـــردت الأر
ض فـــأنحت عـــلى بنى الانســـان

ليس هـــذا سبحـــان ربى ولا ذا
ك ولـــكن طبيعـــة الأكـــوان

تمليـــان فى الأرض نفس عنـــه
ثـــوران فى البحـــر والبـــركان

رب أين المفـــر والبحـــر والبـــر
عـــلى الكيد للورى عـــاملان

كنت أخشى البحـــار والموت فيهـــا
راصـــد غفلـــة من الربـــان

ســـابح تحتنـــا مطـــل علينـــا
حـــائم حولنـــا منـــاء مدانى

فـــاذا الأرض والبحـــار ســـواء
فى خـــلاق كلاهمـــا غـــادران

ما «لمسين» (١٥) عوجلت فى صباها
ودعـــاها من الـــردى داعيـــان

---

(١٤) الفرقدان : نجمان معروفان لسان العرب ٥ : ٣٤٠٢ ٠

(١٥) «مسين» بلد بجنوب ايطاليا وقع فيه هذا الزلزال سنة ١٩٠٨م معجم البلدان ٢ : ٢٩٥ ٠

ومحت تلكم المحاسن منها
حين تمت آيلتها آيتان

خسفت ثم أغرقت ثم بادت
تقضى الأمر كله فى ثوانى

وأتى أمرها فأضحت كأن لم
تك بالأمس زينة البلدان

ليتها أمهلت فتقضى حقوقا
من وداع اللدات (١٦) والجيران

لمحة يسعد الصديقان فيها
باجتماع ويلتقى العاشقان

بغت الأرض والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان

تلك تطوى حقدا عليها فتنشـ
ـق انشقاقا من كثرة الغليان

فتجيب الجبال رجما وقذفا
بشواظ من مارج ودخان

وتسوق البحار ردا عليها
جيش موج نائى الجناحين دانى

---

(١٦) اللدات : الأتراب الواحدة « لدة » بكسر اللام وتخفيف الدال والمراد نظائرها من البلاد .

فهنـا الموت أسود اللون جون
هنا الموت أحمر اللون قانى (١٧)

جنـد المـاء والثرى لهلاك الـ
ـخلق ثم استعان بالنيران

ودعـا السـحب عـاتيا فأمد
ته بجيش من الصـواعق ثانى

فاستحال النجاء واستحكم البأ
س وخـارت عزائم الشجعـان

وشـفى الموت غلـة من نفوس
لا تبـاليه غى مجال الطعـان

أين «ردجو» (١٨) وأين ما كان فيها
من معـان مأهولـة وغـوانى

عوجلت مثل أختهـا (١٩)ودهاها
مـا دهاهـا من ذلك الثوران

---

(١٧) الجون : الشديد السـواد ، والقانى : الشـديد الحمرة ، والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خنقا والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحدثه القتل من سـيلان الدم .
لسـان العرب ٥ : ٤١٠٢ .

(١٨) « ردجو » ولاية فى ايطاليا وهى القصـوى من جهـة الجنوب متاخمة للبحر الأيونى ويوغاز مسينا وقد هدمها ما انتابها من الزلازل .
معجم البلدان ١ : ١٧٥ .

(١٩) المراد بأختها أى « مسينا » التى أصابها الزلزال .

رب طفل قد ساخ فى باطن الأر
ض ينادى أمى أبى أبى أدركانى

وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ
ـر تعـانى من حره مـا تعانى

وأب ذاهل الى النـار يمشى
مستميتـا تمتـد منه اليـدان

بـاحثا عن بنـاته وبنيـه
مسرع الخطو مستطير الجنان (٢٠)

تأكل النـار منـه لا هو نـاج
من لظاهـا ولا اللظى عنه وانى

غصـت الأرض أتخم البحر مما
طويـاه من هـذه الأبـدان

وشـكا الحـوت المنسور شكاة
رددتهـا النسـور للحيتـان

أسرفا فى الجسوم نقرا ونهشا
ثم باتا من كظة (٢١) يشكـوان

لا رمى الله سـاكن القمم الشـ
ـم ولا حاط سـاكن القيعـان

---

(٢٠) مستطير الجنان أى ذاهب القلب جزعا واشفاقا .
(٢١) الكظة : البطنـة وما يعترى الانسـان من الامتلاء من الطعام لسان العرب ٥ : ٣٨٨٥ .

قـد أغـارا عـلى أكف براهـا
بـــارىء الكـائنات للاتقـان

كيف لم يرحما أناملهـا الغـ
ـر ولم يرفقـا بتلك البنـان

لهف نفسى وألف لهف عليهـا
من أكف كانت صنـاع الزمـان

مولعـات بصـيد كل جميـل
نـاصبات حبـائل الألـوان

حـافرات فى الصخر أو ناقشات
شـائدات روائـع البنيـان

منطقـات لسـان كل جمـاد
مفحمـات سـواجع الأفنـان

ملهمـات من دقـة الصنع ما لا
يلهم الشـعر من دقيق المعـانى

من تمـاثيل كالنجوم الـدرارى
يهرم الدهر وهى فى عنفوانه

عجب صنعهـا وأعجب منـه
صنعـة تلك قـدرة الـرحمن

ايه « مسين » آنسى اليوم « بمبـ
ـى » (٢٢) فقد أوحشت بذاك المكان
آنسى الـدرة التى كانت الحلـ
ـية فى تاج دولـة الرومـان
قـالها قبلك الزمان اغتيالا
وهى تلهو فى غبطة وأمـان
جـاءها الأمر والسراة عكوف
فى الملاهى على غناء القيـان
بين صـب مدلـه وطـروب
وخليع فى اللهو مرحى العنان
فانطووا كانطـواء أهلك بالأمـ
ـس وزالت بشاشة العمران
أنت « مسين » لن تزولى كمـا زا
لت ولكن أمسيت رهن الأوان
ان ايطاليـا بنوهـا بنـاة
فاطمئنى ما دام فى الحى بانى
فسـلام عـليك يـوم فوليـ
ـت بمـا فيك من معان حسان

---

(٢٢) « بمبى » : مدينة قديمة من ايطاليا الجنوبية تبعد اثنى عشر ميلا عن « نابلى » الى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل « فيزوق » وقد حدث فيها زلزلتان خربتا قسما منها فى سنة ٦٣م وقد كان بين الزلزلتين فترة أشهر ثم خربت بالمواد المتقدمة فى سنة ٧٩ وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا من الزمان بعد ذلك بصورة طامسة الذكر حتى استكشفت أخيرا .

معجم البلدان ١ : ٤٢٥ .

وســـلام عليك يوم تعوديـ
ـــن كمـــا كنت جنـــة الطليـــان

وســـلام من كل حى على الأر
ض على كل هـــالك فيك فـــانى

وسلام عـــلى الألى أكل الذئـ
ـــب ونـــاشت جـــوارح العقبان

وســـلام على امرىء جاد بالدمـ
ـــع وثنى بالأصفر الرنـــان

ذاك حق الانســـان عند بنى الا
نســـان لم أدعكم الى احســـان

فاكتبوا فى سمـــاء « ردجو » و
« مســـينا » وكاليريا بكل لســـان

ها هنا مصرع الصـــناعة والتصـــو
ير والحذق والحجا والأغانى (٢٣)

دراســـة للقصـــيدتين

دراسة قصيدة « الزلزال » لأحمد شوقى (٢٤)

يتحدث شوقى عن الزلزال الذى حدث فى اليابان ويدعو الى التأمل واستخلاص العبر من هذا الحدث المروع المفزع وهذا الزلزال

---

(٢٣) ديوان حافظ ابراهيم
القصيدة فى صفحات الديوان من ٢١٥ الى ٢٢٠ .

(٢٤) الشاعر هو أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى وقد جمع فى

المدمر الذى أباد مدينتى « طوكيو » و « يوكاهامه» ويتساءل مستفهما كيف تكون القيامة ؟ ويذكر أن الساعة قد اقتربت وظهرت آثارها واقترب موعدها بوقوع هذا الزلزال ثم يأخذ فى وصف هذا الزلزال فالزلزال مدمر مهلك لقد انشقت الأرض وابتلعت المساكن وخسف بالناس فأصبحت المدينتان أثرا بعد عين فالمنايا أهلكت الناس والردى قضى على القوم حتى انك لا ترى الا آثار الأنقاض أو رمم القوم أو حطام المدينتين .

ولا غرو فالزلزال عمقه ألف قامة فأصبحت الأرض مقبرة جماعية للمساكن والأحياء معا ..

ويستخلص العبرة من هذا الحدث الأليم ويدعو الى عدم الركون الى الدنيا والاطمئنان اليها فهؤلاء القوم أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا فى غياهب الثرى وباطن الأرض فاليابان وهى فى ذروة التقدم تتباهى بأسطولها البحرى وقواتها البرية لم تستطع أن تدفع عن نفسها

عروقه بين الدم الكردى والجركسى واليونانى والمصرى فأبوه من أصل كردى جركسى وأمه من أصل يونانى وفيه عرق جركسى من جهة جدته لأبيه فكان كما قال عن نفسه : أنا عربى تركى يونانى جركسى ، عاش قريباً من الخديوى لصيقا به وأكثر من مدحه حتى لقب بشاعر الأمير ثم غضب الانجليز على الخديوى فأقصوه عن العرش ونفى شاعره الى الأندلس ، وبويع أميرا للشعراء وظل كذلك الى أن مات بعد أن خلف لنا ديوانا شعريا من أربعة أجزاء وبعض المسرحيات قتل مصرع كليو باترا ومجنون ليلى وأميرة الأندلس مدارس الشعر العربى فى العصر الحديث د: صلاح عبد التواب ص ٧٧ مجموعة أعلام الشعر للعقاد ٢٣٩ .

دراسات فى الأدب الحديث د. خفاجى ١ : ٢٨٦ .

شيئا وعندما نزل بها ما نزل أصبحت أشبه بالحمامة فى قبضة القدر وهذا الزلزال مروع حقا فهو أشبه بالسيل وأشبه بالصخر • وأشبه بالدخان يغطى الأرجاء وهو أشبه بطوفان نوح الذى غطى البسيطة كلها فالبحر أصيب بالجنون ففاض على البر والأرض انشقت فابتلعت من عليها ، ويتعجب الشاعر ويتساءل هل هـذه براكين أم جراح قديمة بين الأرض ومعشر البشر ، ولم لا وفساد البشر وظلمهم فوق سطح الأرض منتشر فأخذت الأرض ثأرها من بنى الانسان فقد ولعوا بالشر وأبدعوا فى الضر وشغفوا بالدماء ولؤمت طباعهم ، فلا غرو أن تتميظ الأرض غيظا وتتفجر حمما وبراكين وتسحق العصاة سحقا وان فى ذلك لعبـرة

دراسة زلزال « ايطاليا » لحافظ ابراهيم (٢٥)

يتحدث حافظ عن الزلزال الذى حدث فى ايطاليا ونفى أن يكون مصدره غضب الله أو تمرد الأرض على الانسان من جراء أفعاله ويبين أن هذه طبيعة الأكوان فالأرض تغلى من الباطن وهى تحتاج الى تنفس وأسفر عن هذا الغليان ثوران فى البر والبحر •

---

(٢٥) هو حافظ بن ابراهيم فهمى ولد عام ١٨٦٩م بديروط محافظة أسيوط حيث يعمل أبوه مهندسا للرى ، وقد ذاق البؤس منذ نعومة أظافره وواجه شدائد الحياة بقلب جرىء فلم يهادن ولم يستكن فقد توفى أبوه وهو فى الرابعة من عمره فضيمه خاله الى كفالته فكان متمردا عليه ضجرا من العيش معه ، وقد اتصل برجال السياسة والفكر والدين من أمثال محمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول وقاسم أمين وأفسحوا له جميعا بيوتهم وقلوبهم وحببهم فيه ميوله الأدبية ونوادره الطريفة مع عذوبة حديثه وغيرته على وطنه •

ولقب حافظ بشاعر الوطنية وشاعر النيل وشاعر المجتمع •

رواد الشعر الحديث فى مصر مختار الوكيل ٢١٥ •

دراسات فى الأدب الحديث د• خفاجى ١ : ٢٨٦ •

ويعبر عن تجربته الشخصية مع البحر فقد كان يخشى ركوب البحر خشية الغرق أو غفلة الربان أو غدر البحر فاذا البر مثله فى الغدر وعدم الأمان .

ثم يذكر زلزال « مسين » الذى قضى عليها فى ثوان معدودات « الخسف .. الغرق .. الابادة » حيث اشتعلت الأرض من شدة الغليان وتساقطت الجبال التى تحيط بها وفاض الماء وحدثت الصواعق فتكاثرت العوامل وتوحدت على هلاك هذه المدينة « البر مثل البحر .. الجبال .. الصواعق .. النيران » .

ثم يعرض الشاعر للصور المؤلمة التى حدثت فى هذا الزلزال فهذا طفل « تسوخ قوائمه » فى الأرض ينادى أباه وأمه ولا مغيث وهذه فتاة حسناء تلتهمها النار التهاما ولا مجير . وأب ذاهل وسط النيران يبحث عن بناته وبنيه بل يرنو الى النجاة ولا نجاء ثم يعرج الشاعر على الزلزال الذى أصاب مدينة « بمبى » التى كانت خلية فى تاج دولة الرومان حيث غالها الزمان وهى فى اللهو واللعب والطرب والغناء فطوى بساط أهلها وشالت نعامهم وأصبحوا أثرا بعد عين .

ثم يدعو الشاعر البشرية الى التعاون والتكاتف والتكافل من أجل احياء هذه المدن العريقة فى المجد التليدة فى الفن واعادة بنائها وتقديم العون لأهلها حيث ان ذلك حق الانسان على أخيه الانسان وواجب البشر تجاه البشر .

نظرات فنية فى القصيدتين

التجربة الشعرية عند الشاعرين

التجربة الشعرية واحدة فى هاتين القصيدتين وهى التعاطف مع هذه الأحداث الدامية التى قد يتعرض لها كل انسان والألم الذى

اعتصر قلب هذين الشاعرين من هذين الزلزالين المروعين والفزع من أحداث الحياة وتقلباتها وعدم الاطمئنان اليها واستخلاص العبر والدروس من هذه الأحداث الجسام فالانسان عرضة لأحداث الحياة وعرضة لأن يغرق فى مياه البحر أو تخسف به الأرض أو يزلزل بيته أو يحرق بالنار أو يموت سراعا وقد عبر الشاعران عن تجربتهما الشعرية أصدق تعبير وأظهرا تفاعلها مع الأحداث الجسام ووقفا موقف المتأمل المعتبر بما يجرى من أحداث فوق ظهر البسيطة وكيف أن مدنا غابة فى التقدم وآية فى الحضارة وبدعا فى الفن والعمران طوقتها قبضة القدر وغالتها يد المنون ومحتها من على ظهر الوجود فأصبحت أثرا بعد عين وخبرا بعد حقيقة وخيالا بعد واقع رائع ٠

الألفاظ والأساليب عند الشاعرين

الألفاظ والأساليب عند « أحمد شوقى »

يعمد شوقى الى التعبير « بأروع لفظ وأقوى عبارة عن المعنى فجمع بذلك بين روعة المعنى واشراق الديباجة وجمال الأداء » (٢٦) « وكان شديد الطموح الى أن يبز شأو البحترى لدى المتوكل وأبى تمام عند المعتصم والمتنبى لدى سيف الدولة ولذا تأثر شوقى بكل هؤلاء فى ألفاظه ومعانيه » (٢٧) ٠

« والمتأمل فى شعر شوقى يجد فى أسلوبه وطريقة تركيبه خلاصة الأساليب الفحول من السابقين » (٢٨) ٠

---

(٢٦) مدارس الشعر العربى فى العصر الحديث د٠ صلاح عبد التواب ٨١ ٠

(٢٧) المدخل الى النقد الأدبى الحديث د٠ غيمى هلال ٥٣٣ ٠

(٢٨) فصول فى الشعر ونقده د٠ شوقي ضيف ٣٣٨ ٠

« وكان شوقى يختلف أسلوبه باختلاف الفرصة التى ينظم فيها والموضوع الذى يتناوله فله فى الغزل والوصف رقة مهيار والبحترى وفى الحماسة والمدح جزالة أبى فراس والشريف الرضى وفى الأدب والحكمة عمق أبى تمام والمتنبى » (٢٩) .

وفى هذه القصيدة التى بين أيدينا نراه فى مطلعه يعمد الى الدعوة الى النظر والتأمل والتفكر فى هذه الأهوال التى تشبه أهوال يوم القيامة والعلامات التى تشبه أمارات الساعة وعلاماتها ويجعل التعبير بفعل الأمر وسيلة للتأمل واستخلاص الدرس من هذه الأحداث « قف — طف — سل — تأمل — أنظر — ثق »

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه
وسل القريتين كيف القيامة
قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامه
ثق مهما شئت من زمانك الا
صحبة العيش أو جوار السلامة

ويعمد شوقى فى أساليبه الى الأساليب الانشائية ويوجه اليك الأسئلة ويكثر من استعمال أدوات الاستفهام حتى تعيش معه تجربته الشعرية وذلك عن طريق أدوات الاستفهام . كيف و هل .. أين .. الهمزة .. ما .

كيف القيامة ؟ هل ترى من ديار عاد دعامة ؟
أبراكين تلك أم نزوات ؟ ما لها لا تضج مما أقلت ؟

---

(٢٩) دراسات في الأدب العربي الحديث د. خفاجي جـ ١ : ٩٤ .

ونلمح حسن اختياره للألفاظ القوية والأساليب الجزلة التى تؤدى المعنى المراد التعبير عنه لهذا الهول الفادح والتأثير القوى على السامع وكأنك تعيش معه وقع هذه الأحداث وهولها تجد ذلك فى مفرداته كلماته وفى ألفاظه وأساليبه مثل « دنت الساعة • أنذر الناس مصارع القوم • خسفت بالمساكن • حازهم من مراجل الأرض قبر • خانها الجيش • رجها رجة • البحر جن » يقول فى ذلك :

دنت الساعة التى أنذر النا
س وحلت أشراطها والعلامة
قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامه
خسفت بالمساكن الأرض خسفا
وطوى أهلها بساط الاقامة
مازهم من مراجل الأرض قبر
فى مدى الظن عمقه ألف قامة

ونجد المقابلات البديعية فى أسلوبه مما يزيده جمالا وبهاء كالمقابلة بين « طوى — أقام — أصبحوا — أمسوا — البر والبحر » •

خسفت بالمساكن الأرض خسفا
وطوى أهلها بساط الاقامة
أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا
ذهبت ريحهم وشالوا تعامه
خانها الجيش وهو فى البر درع
والأساطيل وهى فى البحر لامه

وهكذا استعمل شوقى الألفاظ المناسبة والأساليب الجزلة فى وصف الزلزال وصوره لنا تصويرا دقيقا حتى كأننا نعاين المشاهد ونقلنا الى موقع الأحداث وجعلنا نشاركه شعوره ومشاعره ووجدانه وتجربته الشعرية •

ونحن نرى أن شوقيا قد أبدع فى اختيار ألفاظه ومفرداته وأساليبه وأبدع فى وصفه وتفوق فى رسم صوره •

« فاذا نحن قدرنا شوقيا بمعايير الألفاظ العذبة المصفاة والأساليب المؤتلفة المتلائمة والمعانى الطريفة المشرقة والنغم الموسيقى الشجى كان فى طليعة الوصافين من شعراء الضاد بل أسبقهم جميعا فى هذا الميدان لا أستثنى البحترى ولا غيره هذا الى ما وهبه الله من خيال مبتكر تظهر آثاره فيما يخلقه من صور ناطقة تجسم الموصوف أمامك وتبرزه ماثلا بين يديك وما هو ماثل وتوهمك أنك تراه ولست تراه » (٣٠) •

الألفاظ والأساليب عند « حافظ ابراهيم »

لا ترى فرقا كبيرا فى الألفاظ والأساليب بين شوقى وحافظ فكلاهما يمجد القديم ويحرص عليه وكلاهما يحافظ على أساليب القدماء وينتهجها وكلاهما يرى فى شعراء العربية الأكابر قدوة وأسوة له أمثال المتنبى والبحترى وسيف الدولة •

ولذلك كانا يتسابقان فى الجودة ويتنافسان فى التأنق وحسن الصياغة ولذلك وجدنا عند حافظ الألفاظ سلسة والمعانى واضحة والأساليب مصطفاة ومنتقاة ومختارة « فقد كان يرسل نفسه على

---

(٣٠) المتنبى وشوقى عباس حسن ٣١١ •

سجيتها بلا تكلف ولا تعمل لا يتصيد النافر من المعـاني ولا يحـاول الإغراب فى لفظ أو فكرة وانما دأبه أن يخـاطب القلوب من أقـرب طريق » (٣١) .

« وكان حافظ مشهورا بديباجته والنقاد والأدباء والشـعراء يحبون فى شعره هذه الديباجة الجميلة التى تتمثل فى جزالة ألفاظه وصناعته الشبيهة بصناعة البحترى وأبى تمام » (٣٢)

وقد أجمع بعض الأدباء خلاصة أسلوب حافظ فقال « حافظ شاعر يحب الجمال خفيف الظل عذب الروح . حلو الحديث ، حاضر البديهة ، رائع النكتة ، بديع المحاضرة » (٣٣) .

وقد وصفه الدكتور طه حسين هو وشوقى فقال : هما أشعر أهل المشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك (٣٤) .

وقد أجمل بعض الدارسين أسلوب حافظ فقال : « وخلاصة القول فى أسلوب حافظ أنه كان مشرقا واضحا وتبدو خصائصه فيما يلى :

(أ) أنه يغلب على أسلوبه التقليد واتباع القدماء .

(ب) قوام أسلوبه الجزالة فى التركيب والأنـاقة فى التعبير والفخامة فى الأداء .

---

(٣١) دراسات فى الأداب المعاصر الدكتور خفاجى ٦٩ .
(٣٢) دراسات فى الأداب المعاصر الدكتور خفاجى ٧١ .
(٣٣) دراسات فى الأدب الحديث الدكتور خفاجى ١١٥ .
(٣٤) حافظ وشوقى الدكتور طه حسين ١١٩ .

(ج) اكثاره من حفظ القديم هيأ له هذا الأسلوب المصنوع المتدفق الذى يتجلى فيه العناية بالألفاظ والالتفات الى الموسيقى (٣٥) .

ومن خلاصة هذه الآراء يتضح لنا أن أسلوب حافظ عذب عذوبة روحه ومفرداته خفيفة كخفة ظله وألفاظه متخيرة تنكر حسن حديثه

فقد كانت حياة حافظ كشعره بساطة تنفر من التكلف وسهولة كعيشه وفكاهة مع خفة روح .

لذلك فنحن نلمح فى شعر حافظ الأسلوب الساحر والمعنى الجميل وعذوبة الألفاظ ورشاقة العبارة وخفة الموسيقى والروح والتجاوب الوثيق بين المعنى والمبنى .

وقد تجسدت هذه الخصائص جميعها فى هذه القصيدة التى بين أيدينا فنرى حافظا يبدع فى مطلع قصيدته ويعمد الى الأساليب الانشائية كشوقى مثل نبئانى .. ومثل أساليب الاستفهام والنداء والتمنى والتعجب .

ما دهى الكون أيها الفرقدان ؟
رب أين المفر ؟ ما لمسن عوجلت فى صباها ؟
ليتها أمهلت .. أين « ردجو » وأن ما كان منها ؟
كيف لم يرجما ؟ لهف نفسى وألف لهف عليها .. سبحان ربى .

ويعمد الى تفسير الظواهر تفسيرا علميا كتفسيره لظاهرة الزلازل وأنها راجعة الى طبيعة الأرض تكوينها .

غليان فى الأرض نفس عنه ثوران فى البحر والبركان

---

(٣٥) مدارس الشعر العربى فى العصر الحديث الدكتور صلاح عبد التواب ١٢٦ .

ويرصد لنا تجربته الشخصية وكراهته للبحر وركوبه وهو الآن لا يطمئن للبر ولا البحر فكلاهما غادران .

فاذا الأرض والبحار سواء
في خلاف كلاهما غادران

ويعمد الى تشخيص الجمادات وبعث الحياة في الصم الساكنات وكأنه يصور لنا معركة أفرادها : الأرض . الجبال . البحر . الصواعق والخصم لهؤلاء هو الانسان الضعيف . ويختار الألفاظ والأساليب التي تؤدي المعنى المراد فالأرض بغت والجبال بغت والبحر طغى والبحار تسوق والسحب تدعو بالصواعق والموت شفاه غله والنار تأكل والبحر أتخم والحوت يشكو .

بغت الأرض والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان
فتجيب الجبال رجما وقذفا
بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردا عليها
جيش موج تائي الجناحين واني
تأكل النار منه لا هو ناج
من لظاها ولا اللظى عنه واق
وشكا الحوت للنسور شكاة
رددتها النسور للحيتان

وكل هذه أساليب تؤدي المعنى المراد التعبير عنه وهو وصف الزلازل وأثرها في تدمير الكيان الانساني وتحطيمه والقضاء عليه ويبدع حافظ في التعبير عن تجربته الشعرية ويتعايش معها معايشة تامة وينقل لنا بأسلوبه الصورة الحقيقية التي حدثت في الزلزال فهذا

طفل تبتلعه الأرض وهذه حسناء تشوى بالنار وهـذا آب يمشي بين النار فى ذهول وهو يبحث عن النجاة ولانجاء •

رب طفل قد ســاخ فى باطن الأر
ض ينـــادى أمـــى أبى أدركانى
وفتاة هيفاء تشــوى على الجمــر
تعــانى من حــره مــا تعــانى
وأب ذاهــل الى النــار يمشى
مستميتــا تمتد منــه اليــدان

وهكذا نقلنا حــافظ الى موطن الأحــداث حيث الزلزال نعيش أحداثه وتفاصيله ونعايش وقائعه ودقائقه ونشعر بشعور أهله والمعاناة الشديدة التى عانوها ووصف لنا وصفا تفصيليا ما حدث فى هذا الزلزال المروع المدمر وعبر عن ذلك بألفاظ وأساليب واضحة لا غموض فيهــا ولا التواء ولا تعقيد بل هى سهلة سهولة طبيعة حافظ وواضحة وضوح نفســه •

الصور والأخيلة عند الشاعرين

الصور والأخيلة عند «شوقى»:

حالف شوقى الصواب فى بعض الصور والتشبيهات وجــانبه التوفيق فى بعض التشبيهات والصور عن الزلزال •

فمما وفق فيه قوله :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه
وسل القريتين كيف القيامة ؟

فهو يصف الزلزال وآثاره المدمرة بأهوال يوم القيامة والقيمــة الفنية اظهار الفزع والهلع والخوف الذى حل من وراء هذا الزلزال

حيث ان يوم القيامة شديد هوله عظيم بأسه مروع قدومه « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم » (٣٦) .

ويصور الآثار الباقية من هذه المدينة بآثار قوم عاد « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (٣٧) .

والقيمة الفنية لهذا التشبيه بيان الهلاك الشامل والابادة التامة التى لحقت بهم .

وكذلك تشبيه هؤلاء الأقوام عاد دلالة على الفجور الذى هم فيه والسفه الذى سيطر عليهم والغرور الذى ركبهم حيث ان قوم عاد قالوا « من أشد منا قوة ؟ » (٣٨) .

تجد ذلك واضحا جليا فى قول شوقى :

قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامه ؟

وفى قوله :

طوفت بالمدينتين المنايا
وأدار الردى على القوم جامه

تجده يصور المنايا برجل طوف على المدينتين فتضى عليهم ويصور الردى بساق يسقى القوم كؤوس الموت وأذاقهم رحيقه .

والقيمة الفنية : القضاء المبرم والهلاك المحقق الشامل حيث طوفت المنايا بهم وسقاهم الردى كؤوسه .

---

(٣٦) الآية رقم ١ من سورة الحج .
(٣٧) الآية رقم ٦ من سورة الحاقة .
(٣٨) من الآية ١٥ سورة فصلت .

وفى قولـه :

حازهم من مراجل الأرض قبـر
فى مدى الظن عمقه ألف قامه

فهو يصور الأرض بقـدر يغلى ويفور احتواهم بلظـاه ولفهم بشره وأصبحت الأرض أتونا للمساكن والأحياء معا .

والقيمة الفنية : السحق التام والفناء الشامل والابادة التـامة

وفى قولـه :

أتت الأرض والسمـاء بطوفان
ينسى طوفـان نوح وعـامه

يصور الزلزال الذى حدث بطوفان نوح المدمر المهلك .

والقيمة الفنية : الغرق والدمار لهؤلاء الأقوام كما حدث لقوم نوح وفيه تصوير لظلمهم وفجورهم وكفرهم كقوم نوح .

وطوفان نوح قضى على البشرية جميعها وزلزال اليابان قضى على المدينتين قضاء مبرما وسحقهم سحقا تاما .

وفى قوله :

فترى البحر جن حتى أجاز الـ
بر واحتـل موجـه أعـلامه

يصف البحر برجل جن ففقد عقله وطار صوابه واختلت تصرفاته .

ولم تحظ صور كثيرة فى هذه القصيدة منا بالقبول والرضا فقـد جانب شوقى الصواب فيها ولم يوفق أدنى توفيق كقوله :

لـو تأملتهـا عشـية جـاست
خلتهـا فى يد القضـاء حمـامه

فهو يصور المدينة وهى فى يد القضاء بالحمامة وهو تشبيه ضعيف لا يرقى الى وصف الزلزال ولا نرضاه نشوقى الوصاف البارع فأين هذه الصورة مما وقع فى نكبة اليابان بأقسى زلزال مر بها .

وكذلك تصويره الزلزال بالريح التى تهب والغمامة التى تسح والدخان الذى يلف الأرجاء وعواء الذئب وزمجرة الضرغام فى قوله :

من رأى جلمدا يهب هبوبا
وحميما يسح سح الغمامة

ودخانا يلف جنحا يجنح
لا ترى فيه معصميها اليمامه

وهزيما كما عوى الذئب فى كل
مكان وزمجر الضرغامه

وهى تشبيهات ضعيفة وتصويرات واهية لا ترقى الى تصوير المشهد الهائل المفزع المخيف الذى حدث فى هذا الزلزال حيث البحر طغى على البر وانشقت الأرض فابتلعت المساكن والأحياء وغطى البحر البر بمياهه وأمواجه ولا ينتظر صدورها من شوقى الوصاف البارع صاحب التشبيهات الرقيقة والصور المتآلفة والتشبيهات المستملحة المحكمة التناسب وهذه التشبيهات الضعيفة على قلتها أو كثرتها لا تزحزحه عن مكان الصدارة بين شعراء العربية الوصافين ولا تقلل من مكانته كشاعر متميز أجمع الشعراء على امارته فله تشبيهات تفوق الوصف وصور غاية فى الروعة « فقد كان فى طليعة الوصافين من شعراء الضاد بل أسبقهم جميعا فى هذا الميدان » (٣٩) .

---

(٣٩) المتنبي د. شوقي عباس حسن ٣١١ .

« فقد كان شوقى صناجة مصر والعروبة والاسلام فى العصر الحديث عقل كبير تفيض منه الحكمة وقلب كبير يشع منه الحب وخيال لطيف خصب يصور آلام العرب وآمالهم وماضيهم وحاضرهم أبدع تصـــوير » (٤٠) .

« ولم تر العربية فى جميع عصورها شـــاعرا كان أرحب أفقـــا وأوسع تصرفا وأغزر نتاجا وأخصب شاعرية من شوقى حيث تصرف فى جميع فنونه تصرف الخبير وأتى فيها بالعجب العجاب وعارض كبـــار شعراء العربية فى أروع قصائدهم فما كبا خياله أو وهن نسجه أو أسف فى معنـــاه » (٤١) .

الصور والأخيلة عند « حافظ » :

أبدع حافظ فى صوره عن شوقى وتفوق فى فنه الشعرى عنه وعايش الأحداث أكثر مما عايشها شوقى ووصفها لنا بدقة وصورهـــا لنا تصويرا تفصيليا جعلنا نتأثر بما حدث ونشـــاهد الزلزال من قرب وكأننا نراه رأى العيان وفى موقع الأحداث نفسها وحافظ دائما يعمد الى التجسيم والتشخيص فهو يبعث الحياة فى الجمادات ويمنح العقل لسائر الكائنات ففى قولـــه :

غليان فى الأرض نفس عنـــه
ثوران فى البحـــر والبركان

يصور البركان وقد ثار وتفجر فى الأرض بانسان يتنفس وتتعالى أناته وتتصاعد زفراتـــه .

---

(٤٠) دراسات فى الأدب الحديث ومدارسه د. خفاجى ٨٣ .

(٤١) مدارس الشـــعر العربى فى العصر الحـــديث د. صـــلاح عبد التواب ٨٢ .

والقيمة الفنية : اشتداد الثورة والغيظ والحنق على البشر .

وفى قولـــه :

رب أين المفـــر والبحـــر والـــ
ـــبر عـــلى الكيد للورى عـــاملان

يصور البر والبحر بانسان يكيد كيدا وهو فى غاية الدهاء حيث يحتال فى اهلاك مناوئه وخصـــمه .

والقيمة الفنية عدم الطمأنينة فى هذه الحياة وعدم الركون الى جانبها وتتكرر هذه الصـــورة فى قوله :

فـــاذا الأرض والبحـــار سواء
فى خلاق كلاهمـــا غـــادران

ويصور « مسين » المدينة الجميلة أشبه بفتاة بارعة الحســـن والجمال دهمها الموت فجأة واختطفها بغتة وأخذها على غـــرة .

والقيمة الفنية : هول المفاجأة وشـــدة الذهول مما حدث نلمح ذلك فى قولـــــه :

ما لمســـين عوجلت فى صبـــاها
ودعـــاها من الردى داعيـــان

ويصف معركة حربية ولكنها غير متكافئة فطرف من أفرادها الأرض الجبال ـــ البحر ـــ السحب . والطرف الثانى هو الانسان الضـــعيف ومن له بأن يصمد أمام هذه الكائنات القوية العملاقة فيصور الأرض والجبال بانسان بغى وتجاوز حده فى سائر تصرفاته ويصور البحـــر بالطغيان ويصور الجبال وهى تتساقط وتتقذف بالحمم البركانية أشـــبه بشواظ من مارج ودخان ويصور البحر فى اضطرابه وتدفق أمواجـــه بأنه يسوق جيشا جرارا من الموج .

والسحب قامت بإعطاء مدد آخر جيوش من الصواعق قاتلة ومدمرة والقيمة الفنية لهذه التصويرات : مدى التفاعل والتجاوب بين أفراد الطبيعة لهلاك بنى الانسان نرى ذلك واضحا فى قوله :

بغت الأرض والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلى حقدا عليها فتنشق
انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجما وقذفا
بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردا عليها
جيش موج نائى الجناحين دانى
حبذا الماء والثرى لهلاك
الخلق ثم استبان بالنيران
ودعا السحب عاتبا فأمدته
ـه بجيش من الصواعق ثانى

وبعد هذا التصوير المفزع المرعب ينتقل الى حومة النيران ومعمعة البركان ويصور ما حدث فى وسط الزلازل والبراكين فهذه فتاة تتقلب فى النار وتشوى بالجمر كما يشوى السمك على النار :

وفتاة هيفاء تشوى على الجمر
تعانى من حره ما تعانى

والقيمة الفنية : إظهار الفظاعة الشديدة التى ألمت بالبشر من جراء هذه الزلازل والبراكين .

ويصور الأب والنار تنهش أعضاءه وتلتهم جوارحه أشبه بمن يأكل بشراهة ليدل على الأثر الشديد الذي أحدثته النار في البشر :

وأب ذاهل الى النـــار يمشى
مستميتـــا تمتد منـــه اليـــدان
تأكل النـــار منـــه لا هو تـــاج
من لظـــاها ولا اللظى عنه وان

ويصور الأرض والبحر بانسان اكتظ وأتخم بالأكل فقد أصبح البحر والبر مقابر جماعية للمساكن والأحياء معا :

غصت الأرض أتخم البحر ممـــا
طويـــاه من هـــذه الأبـــدان

وفى قولـــه :

آنسى الـــدرة التى كـــانت الـــ
ـــحلية فى تـــاج دولة الرومـــان

يصور المدينة المنكوبة بالدرة فى عقد دولة الرومان .

والقيمة الفنية : اظهار مدى الجمال الفائق والحسن والابداع الذى حظت به تلك المدينة فى العهود الخوالى .

ومع هذا الابداع فى التصوير والدقة فى الوصف والتأنق فى رسم الصور فقد اتهم كثير من النقاد حافظا بضيق الأفق والعقم فى الخيال والضآلة فى التصوير .

يقول البعض « والملاحظ أن حافظا قد ضعفت عنده قوة الابتكار التى تعتمد على الخيال لأن خياله لم يكن خصبا فلم تكن لديه القـــدرة على اختراع الصور وتأليف المناظر » (٤٢) .

---

(٤٢) مدارس الشـــعر العربى فى العصر الحـــديث د. صـــلاح عبد التواب ١٢٥ .

ويقول أحمد أمين فى المقدمة التى كتبها لديوان حافظ « أما خياله فكان مع الأسف خيالا قريبا قليل حظه من الابتكار والتصوير » (٤٣) .

ويقول غيره « طبيعة حافظ يسيرة جدا لا غموض فيها ولا عسر ولا التواء وهذا اليسر هو الذى يحببها الينا وهو الذى يجعلها فى الوقت نفسه فقيرة قليلة الحظ من الخصب والغنى » (٤٤) .

وهذه أقوال جانبها الصواب ولم يصاحبها التوفيق فحافظ كان واسع الأفق واسع الخيال واسع التصوير فى شتى جوانب شعره .

ونحن نرى فى هذه القصيدة تفوقه على شوقى فى خيالاته وتصويراته وابداعه فلم تر له قط تشبيها ضعيفا ولا صورة مستهجنة .

الأفكار والمعانى عند الشاعرين

الأفكار والمعانى عند « شوقى » :

تناولت قصيدة وصف « الزلازل » عند شوقى الأفكار والمعانى الآتية :

١ — أثر الزلزال المروع ونتائجه الضارة .
٢ — أهوال الزلزال صورة من أهوال يوم القيامة .
٣ — مصارع القوم أشبه بمصارع قوم عاد .
٤ — القضاء مهيمن على الكون فلا ترده قوة البشر مهما عظمت .
٥ — وصف الطوفان المدمر والزلزال المروع .
٦ — الزلزال أثر من آثار المعاصى والذنوب والفساد .

---

(٤٣) مقدمة ديوان حافظ ابراهيم ٣ .
(٤٤) حافظ وشوقى وطه حسين ١٧٦ .

وقد جاءت الأفكار والمعانى مترابطة ومناسبة للموضوع الذى أمعن النظر فيه فالزلزال الذى حدث فى اليابان يذكرنا بيوم « تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير » ويذكرنا بيوم « اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها » ويذكرنا بالهلاك الذى حل بالأمم السابقة فالمنايا طوفت بالمدينتين والردى أدار على القوم جامه وأصبحت هذه المدن أثرا بعد عين وسرابا بعد واقع وحلما بعد حقيقة كأن لم تغن بالأمس وأى أثر أفدح من زلزال عمقه ألف قامه رج المدينتين رجا وهزهم هزا ولم تغن عنهم أساطيلهم البحرية ولا قواتهم البرية ولا الجنود ولو كانوا أولى بأس شديد ثم تعمد الى وصف الزلزال فهذه المدن أصبحت فى يد القضاء أشبه بالحمامة والطوفان ينسى طوفان نوح وعامه فالطوفان ثائر هائج مضطرب كالريح العواصف ويرجع السبب فى هذه الزلازل الى غضب الأرض من سوء سلوك البشر وضجرها من تصرفاتهم فالأرض تجأر الى الله أن تبتلع من عصى الله عليها راجية من الله أن يأذن لها بأن تدفنه فى بطنها فبينها وبين البشر ثأر تحرص على أن تناله ودين تود لو استوفته ولا يكون ذلك الا بالزلازل والبراكين •

الأفكار والمعانى عند « حافظ » :

أما قصيدة حافظ فى وصف الزلزال فقد تناولت الأفكار والمعانى الآتية :

١ — الزلزال مظهر من مظاهر الطبيعة الغاضبة •
٢ — محو المدينتين الجميلتين من على ظهر الوجود •
٣ — وصف الزلزال وآثاره المروعة المدمرة •
٤ — التأسف على ابادة مظاهر الجمال وابداعات الحضارة •
٥ — تآمر الطبيعة على بنى البشر •

٦ — الدعوة الى اصلاح ما أفسده الزلزال والتعاون من أجل مستقبل مشرق .

وقد جاءت أفكار حافظ ومعانيه منسجمة مع شعوره الجارف وتجربته الوجدانية تجاه هذا الزلزال ، ويتعجب من هذا الهول الفادح والاعصار للجارف والزلزال المدمر الذى قضى على هذه المدن فى ثوان معدودات وفى لحظات سريعات الخسف — الغرق — الابادة والتدمير ثم يعمد الى وصف هذا الزلزال فقد بغت الأرض وطغى البحر وتدكدكت الجبال وأنذرت السحب بالصواعق والنيران فاستحال النجاء واستحكم اليأس وخارت عزائم الشجعان ثم يدعو حافظ الى جمع المال لبناء هذه المدن واحيائها من جديد .

الموسيقى الشعرية عند الشاعرين :

تتفق القصيدتان فى الموسيقى الخارجية المكونة من الوزن الشعرى وان اختلفت القافيتان .

فالقصيدتان من بحر الخفيف وتفعيلاته على هذا النحو :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وهذا البحر يقول عنه الخليل بن أحمد « ان موسيقاه تتسم بالخفة والسهولة » (٤٥) . « وهو ساطع النغم بارز الموسيقى ثم انه صالح للحوار يقال وقلت ويصلح للجدل والترديد والسرد ويمتلىء بالروح الملحمى وهو بحر يكثر فى البيئات المتحضرة ، وهو أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع » (٤٦) .

---

(٤٥) موسيقى الشعر الحديث د. صابر عبد الدايم ١١٧ .

(٤٦) الميزان فى العروض والقافية تحقيق د. خفاجى ٢ : ٢٢٥ .

وقد ذكر حازم القرطاجنى فى منهاج البلغاء « أن له جـزالة ورشاقة (٤٧) ٠

وحين تمعن النظر فى النتاج الشعرى تدرك أن للبحر الخفيف أثراً كبيراً فسيطر على دواوين الشعراء قديما وحديثا ٠

ففى ديوان البحترى يحتل الخفاف المرتبة الثالثة فى استخدام الشاعر للبحور الشعرية بعد الطويل والكامل حيث تبلغ نسبة استخدام موسيقى الطويل ٣١٪ ونسبة الكامل ٢١٪ ونسبة الخفيف ١٧٪ ٠

وفى العصر الحديث نجد الشعراء يميلون الى موسيقى البحر الخفيف ففى ديوان أمير الشعراء أحمد شوقى يحتل البحر الخفيف المرتبة الثانية بعد الكامل حيث تبلغ نسبة استخدام الشاعر للكامل ٢٧٪ وللخفيف ١١٪ (٤٨) ٠

فشوقى يقول فى مطلع قصيدته فى وصف الزلازل :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه
وسل القريتين كيف القيامة

وحافظ يقول فى مطلع قصيدته :

نبئانى ان كنتما تعلمان
ما دهى الكون أيها الفرقدان ؟

فاختيار بحر الخفيف اعطى القصيدتين « حلاوة الى حلاوة وأكسبهما جمالا فوق جمال » (٤٩) ٠

---

(٤٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى ١٧٩ ٠
(٤٨) موسيقى الشعر الحديث د٠ صابر عبد الدايم ١١٨ ٠
(٤٩) موسيقى الشعر د٠ ابراهيم أنيس ٢١٣ ٠

أما الموسيقى الداخلية للقصيدتين التى تحكمها القيم الصوتية الداخلية المكونة من همس الحروف وأصوات الألفاظ ونغم المقاطع فقد زادت من جمالها وجلالهما •

تلمح جمال الموسيقى عند شوقى فى اختياره لفعل الأمر « قف ـ طف ـ سل ـ تأمل » •

قف بطوكيو وطف على بوكاهامه
وسل القريتين كيف القيامه ؟
قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامه ؟

وتلمح جمال الموسيقى فى المقابلة بين « الاصباح والامساء وبين التربع على قمة الحياة وذهاب ريحهم وأنهم أصبحوا أثرا بعد عين :

أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا
ذهبت ريحهم وشالوا تعامه

وهكذا تشيع الموسيقى الداخلية فى القصيدة عند شوقى عن طريق اختيار الألفاظ المناسبة والمفردات المتآلفة والمقابلات المتضادة والمعانى الموحية بالمراد •

واختار حافظ نفس الوزن الشعرى ونفس البحر العروضى وتجده يبدع فى التقسيم حيث يصور البحر بأنه •

« سابح تحته ـ مطل عليه ـ حائم حوله ـ مناء ـ مدانى »
سابح تحتنا مطل علينا
حائم حولنا مناء مدانى

ويعمد الى الاسراع فى اعطاء المعلومات دفعة واحدة عندما يخبر عن الزلزال الذى دهى « مسين » بايطاليا •

وذلك عن طريق اختيار الألفاظ « خسفت ــ أغرقت ــ بادت » •

خسفت ثم أغرقت ثم بادت
قضى الأمر كله فى ثوانى

ويعمد الى توزيع الأدوار فى هذا الزلزال المروع حيث أدت سائر الكائنات دورها فى ايقاع الهلاك ببنى الانسان « بغت الأرض ــ طغى البحر ــ تجيب الجبال ــ تسوق البحار ــ دعا السحب ــ شفى الموت ــ خارت عزائم الشجعان •

بغت الأرض والجبال عليها وطغى البحر أيا طغيان
فتجيب الجبال رجما ودقا بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردا عليها جيش موج تائى الجناحين دانى
ودعا السحب عاتيا فأمدته بجيش من الصواعق ثانى
وشفى الموت فله من نفوس لا تبالية فى مجال الطعان

وهكذا سرت الموسيقى الداخلية بين الألفاظ والعبارات وتغلغلت داخل الأفكار والمعانى « فخير الموسيقى ما تتمشى مع الافكار وتتساوق مع المعانى وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النفس »(٥٠)

والموسيقى الشعرية لا يقل شأنها فى التعبير الشعرى عن الخيال بل قد تفوقه فى الأثر ولا يكمل أثر شعرى بدونها •

وهنا نحن نرى توفيق الشاعرين وابداعهما فى الموسيقى الخارجية والداخلية أيما توفيق وابداع •

---

(٥٠) دراسات فى الأدب المعاصر د• خفاجى ٣٢ •

موازنات نقدية

يقول شوقى فى مطلع قصيدته :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامة ... وسل القريتين كيف القيامة ؟
دنت الساعة التى أنذر النا ... س وحلت أشراطها والعلامة

ويقول حافظ فى مطلع قصيدته :

نبئاتى ان كنتما تعلمان ... ما دهى الكون أيها الفرقدان ؟
غضب الله أم تمردت الأر ... ض فانحت على بنى الانسان

أبدع الشاعران كلاهما فى المطلع لقصيدتيهما واختيار الألفاظ المناسبة والأساليب التى تؤدى الى استرعاء الانتباه ومخاطبة الشعور والوجدان فنجد شوقيا يستهل قصيدته بفعل الأمر « قف • طف • سل» وهى دعوة الى التأمل والنظر والتفكر فى أحداث الحياة وبين آن الزالزال مظهر من مظاهر الساعة وأمارة من أمارات القيامة أما حافظ فهو يستنبىء من مخاطبيه ويستفهم مستنكرا ما الذى حدث فى الكون؟ أغضب الله ؟ أم تمرد الأرض ؟ ويعمد الى الأساليب الانشائية فعل الأمر — الاستفهام — النداء •• لينبه الأسماع ويوقظ الشعور والوجدان•

يقول شذوقى فى وصف الزلزال :

قف تأمل مصارع القوم وانظر ... هل ترى من ديار عاد دعامه ؟
خسفت بالساكن الأرض خسفا ... وطوى أهلها بساط الاقامة
طوقت بالمدينتين المنايا ... وأدار الردى على القوم جامه

ويقول حافظ :

بغت الأرض والجبال عليها ... وطغى البحر أيما طغيان
فتجيب الجبال رجما وقذفا ... بشواظ من مارج ودخان

وتسوق البحار ردا عليها جيش موج تأتى الجناحين دانى
ودعا السحب عاتبا فأمدته بجيش من الصواعق ثانى

تفوق حافظ على شوقى وهو يصف الزلزال وقد عم الكون كله الأرض — الجبال — البحار — الصواعق • وشرح شرحا تفصيليا أما شوقى فقد اكتفى بالوصف الاجمالى فالمساكن قد خسفت والمنايا طوفت بالمدينة وسقى القوم أكؤس الردى والهلاك ، ويعطى حافظ الجمادات الحياة ويبعث فيها الحركة ويمنحها قوة الارادة وجمال التشخيص •

مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الشاعرين

أولا : اتفق الشاعران فى وصف الزلزال وصفا اجماليا وتفوق حافظ فى الوصف لحال البشر ساعة الزلزال •

ثانيا : أجاد شوقى فى بعض التشبيهات المتنوعة والصور عن الزلزال وأخفق فى بعضها الآخر بينما أجاد حافظ فى كل تشبيهاته وتصويراته •

ثالثا : ثقافتهما التاريخية وذاكرتهما الواعية التى ربطت بين الزلازل المتعددة عبر العصور واشادتهما بالحضارة اليونانية والرومانية واظهار مكانتهما بين سائر الحضارات •

رابعا : اختلاف وجهة نظرهما من حيث طبيعة الزلزال فحافظ يراه فى ثوران الأرض وغليان باطنها مما يدعوها الى التنفس وشوقى يراه فى المعاصى والفساد وظلم البشر •

خامسا : تفرد حافظ بالدعوة الى اصلاح المدن التى تهدمت والى جمع المال لاعادة العمران واصلاح ما أفسدت يد الدهر وان ذلك حق وواجب للانسان على أخيه الانسان •

سادسا : دقق الشاعران فى اختيار الألفاظ والاساليب واصطفاء الأفكار والمعانى والتعبير عن تجربتهما الشعرية أصدق تعبير •

المصادر والمراجع

١ — القرآن الكريم •

٢ — التاريخ الأدبى للعصرين العثمانى والحديث الدكتور على محمد حسن مطبعة الجامعة الأزهرية ١٣٩١ — ١٩٧١ •

٣ — حافظ وشوقى الدكتور طه حسين مكتبة الخانجى بالقاهرة •

٤ — دراسات فى الأدب العربى الحديث الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة ١٩٧٤ •

٥ — دراسات فى الأدب المعاصر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة الطبعة الأولى بدون تاريخ •

٦ — ديوان حافظ ابراهيم ضبطه وصححه أحمد أمين ، أحمد الزين ابراهيم الابيارى الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٨٧ •

٧ — ديوان شوقى — دار صادر بيروت •

٨ — رواد الشعر الحديث فى مصر مختار الوكيل القاهرة ١٩٣٤ •

٩ — شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى الأستاذ عباس محمود العقاد مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ •

١٠ — الشوقيات مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٦١ •

١١ — فصول فى الشعر ونقده الدكتور شوقى ضيف القاهرة ١٩٧٧ •

١٢ — المتنبى وشوقى عباس حسن دار المعارف بمصر •

١٣ — مدارس الشعر العربى فى العصر الحديث الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م •

١٤ — المدخل الى النقد الأدبى الحديث الدكتور محمد غنيمى هلال.

١٥ — مجموعة أعلام الشعر الأستاذ عباس العقاد دار الكتاب العربى بيروت ١٩٧٠ .

١٦ — معجم البلدان ياقوت الحموى البغـدادى دار صـادر بيروت ١٣٩٥ — ١٩٧٥م دار احيـاء التراث — بـيروت ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .